المنهج النبوي في المصالحة

عمر أنبيه خليفه المحروق

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية صرمان، جامعة صبراته

مستخلص البحث:

هذا البحث بعنوان: (المنهج النبوي في المصالحة)، ويهدف البحث إلى بيان الطرق التي تنهي الخلافات بين الخصوم، وتقارب بين وجهات نظرهم في المشكلة الواقعة بينهم وفق الأحكام الشرعية، وبما نصت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأن المصالحة تقتضي علاج المشاكل التي تقوم بين الأفراد بطريقة تختلف عن الأحكام القضائية حيث يتضمن شروطاً وأحكاماً خاصة لعلاج الخلافات،وقد تناول البحث العناصر الآتية :(تعريف المصالحة ، وعناية القرآن الكريم بالمصالحة، والترغيب في القيام بالإصلاح، وتمثل خُلق الإصلاح في النبي -ﷺ- والخاتمة).

مقدمة :

الحمد لله الذي يصلح بين المسلمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله هدى ورحمة للعالمين، فألف به بين القلوب، وآخي به بين الشعوب، وبعد:

فقد امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه بأن أيده بنصره وبالمؤمنين، وقرن هذه المنة بسبب من أسباب المنعة والقوة والنصر والتأييد، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ سورة الأنفال: الآيتان (62-63)، فبين سبحانه وتعالى أن نعمة تآلف القلوب وإن تستحق أن ينفق عليها ما في الأرض جميعاً فإنها فضل من الله تعالى على عباده.

وقد حثت الشريعة الإسلامية على التأليف بين القلوب، وإصلاح ذات البين، وأوضحت أهمية المصالحة والحاجة إليها، وهذا البحث يبين جانباً من هذا السلوك الراقي، ونسأل الله العلي القدير أن ينفعنا به؛ لأن الإصلاح بين الناس أمر له خطره وأثره، فالمصلح بينهم يتعرض كثيراً للإتهام من

الطرفين؛ لأنه يمثل الحقيقة في وضوحها، ولا يمكن أن يحيد، وقد يحدث أن كلا الطرفين أو أحدهما لا يرضى بالحقيقة، فلا بد له من الصبر الواسع على هذا الأمر العظيم، وله أجر عند ربه، فإن إصلاح ذات البين يذهب حقد الصدور، ويجمع الشمل، ويضم الجماعة، ويزيل الفرقة، والإصلاح بين الناس مبعث الأمن والاستقرار، ومصدر الهدوء والطمأنينة، ومنبع المحبة والألفة، وهو دليل الأخوة، وبرهان الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ سورة الحجرات: الآية (10)، وبالصلح تسكن النفوس، ويتلاشى النزاع، والصلح نهج شرعي يصان به الناس، وتحفظ به المجتمعات من الخصام والتفكك، وبالصلح تعمر البيوت، ويبث الأمن في الجنبات، ومن ثم يتفرغ الناس للأعمال الصالحة، يتفرغون للبناء و الإعمار بدلاً من المنازعات والخصومات، وإراقة الدماء، وتبديد الأموال، وإزعاج الأهل، وقد أمر الله تعالى بإصلاح ذات البين وجعله عنوان الإيمان، قال الله تعالى: ﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال: الآية (1)، ولأهمية هذا الموضوع للفرد والأسرة والمجتمع ونشر ثقافة الإصلاح أردت الكتابة في هذا الموضوع، وقد تناول البحث العناصر الآتية: (المقدمة وتعريف الصلح لغة واصطلاحاً، والدليل على المصالحة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتنويه بالصلح والقائمين عليه، وتمثل خلق الإصلاح بين الناس في النبي -ﷺ- قبل البعثة وبعد البعثة).

تعريف الصلح لغة واصطلاحاً:

1- الصُلح في اللغة: هو اسم بمعنى المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة(1)، والصُلح بالضم السلم يقال صالحه مصالحة وصلاحاً واصطلاحاً ، اصالحا وتصالحا واصطلحا، وقال الراغب الأصفهاني: الصُلح يختص بإزالة النفار بين الناس، يقال: اصطلحوا وتصالحوا وأصلحت بين الناس، يقال: اصطلحوا وتصالحوا، وأصلحت بين القوم، ووفقت وتصالح القوم، والصلاح نقيض الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد(2).

2- الصُلح أو المُصالحة في الشرع: عقد يرفع النزاع، وهو الاتفاق الذي يعقده المتنازعون ليفضوا

نزاعاً قائماً، أو متوقعاً بتنازل كل منهم عن شيء من مطالبه، وهو الخصومة، وكذلك الانتقال عنِ الحق أو دعوى بعوض لرفع النزاع، أو خوف ووقوعه، وقد يكون الصُلح عنِ المنازعة بعد وقوعها، ويكون أيضاً عند خوف المنازعة واحتمال وقوعها وقاية منها (3) .

مكانة الصُلح في الأخلاق الاجتماعية:

وهو من أجل الأخلاق الاجتماعية ؛لأن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن(4)؛ ولذا كان الصلح من أسمى المطالب الشرعية لتتحقق به الأُخوة التي ينشدها لهم ويصفهم بها لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة الحجرات: الآية (10)، وهذه الأخوة التي يذهبها الخلاف والتنازع فيما بينهم.

عناية القرآن الكريم بالحديث عن الصلح:

بهذا الخُلق النبيل عني القرآن الكريم به كثيراً أمراً وترغيباً وتنويهاً به وبأهله في آيات عديدة أذكر منها:

أولاً- في الأمر به: حيث قال عزّ وجلّ: ﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال: الآية (1)، وقال أيضاً :﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة الحجرات : الآيتان (9، 10)،

نجد أن الله تعالى أمر عباده بأن يصلحوا ذات بينهم لما بينهم من الإخاء كما صرح به في آية الحجرات قائلاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فالآية بينت علّية الأمر بالإصلاح بين المؤمنين بصيغة القصر المفيدة لحصر حالهم في أصل واحد، وهو الإيمان الذي هو منشأ البقاء الأبدي في الجنات، فأشارت جملة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين ببيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من النسب الروحي ما لا ينقص عن نسب الأُخوة الجسدية، وحيث إن الحال كذلك فوجب القيام به بين الناس؛لأنه إذا نشب خلاف بين أخوين لزم بقية

الإخوة أن يتناهضوا لإزاحته بالصلح، فأرشد القرآن الكريم إلى أن المسلمين شأنهم كذلك إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم فعلى بقيتهم أن ينهضوا إلى السعي بالصلح بينهما وبث السفراء إلى أن يرفعوا ما وهى ويصلحوا ما أصاب ودهى(4)؛ ولهذا لما تقرر معنى الأخوة بين المؤمنين كمال التقرير من القصد المذكور في الآية عدل عن أن يقول: فأصلحوا بين طائفتين إلى قوله: ﴿ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ لكونه حينئذ وصفا جديدا نشأ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (5)، ومن خلال هذه الآيات القرآنية يعلم أن الإصلاح بين الناس ليس من نافلة الأعمال، بل هو تكليف إلهي للقادرين عليه؛ حتى لا تفسد أواصر الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وهو مع ذلك من التعاون على البر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين أمر الله تعالى بهما، ومعلوم أن هذين الأمرين من الواجبات الشرعية التكليفية على المؤمنين في علاقاتهم الاجتماعية، فكل هذه الأمور تحتم على المسلمين القيام بالإصلاح بين المسلمين بل بين الناس عامة لتستقر الحياة الاجتماعية عامرة بالود والإخاء وقال ابن القيم:(فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ،ورضى الخصمين ، فهذا أعدل الصلح وأحقه،وهو يعتمد العلم والعدل فيكون المصلح عالماً بالوقائع عارفاً بالواجب قاصداً العدل،فدرجة هذا أفضل من القائم الصائم....)(6)

ثانياً- الترغيب في القيام بالإصلاح:

لقد رتّب الله تعالى على القيام به فضلاً كبيراً وأجراً عظيماً يناله القائم بذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى حيث قال:

1- ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ سورة النساء: الآية (114) .

2- وعد الله القائمين به مغفرته ورحمته كما يفيده قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ النساء: الآية (129) ففي هذه الآية إشارة إلى مغفرة الله ورحمته للمصلحين كما أذن به ختم الآية بصفتي المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى.

3ـ وقال تعالى :﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة البقرة: الآية (182) فيها إشارة إلى مغفرته ورحمته سبحانه وتعالى للمصلح كالآية السابقة بدلالة نفي الإثم، وتذييلها بصفتي المغفرة والرحمة، وهي إشارة جلية.

4ـ وصف الله تعالى تفسير ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ سورة الأعراف: الآية (170)، فإذا عمل ابن آدم الحسنة فإنها عند من لا يضيعها(7).

ثالثاً ـ التنويه بالصلح والقائمين به:

وتكرار هذا الوعد حيث قال تعالى:﴿ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ سورة النساء:الآية (129) مغفرة ورحمة ،وفي قوله تعالى :﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة البقرة: الآية (182) فيها إشارة واضحة إلى مغفرته ورحمته للمصلح ما في سابقتها بدلالة نفي الإثم ،وتذييلها بصفتي المغفرة والرحمة ،وهي إشارة جلية لقوله تعالى واصفاً نفسه ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ،وهذا يدل على علو شأن الإصلاح بين الناس عند الله تعالى؛ ولذلك أجزل للقائم به تلك المثوبة الكريمة والأجر العظيم، وقد دل على ذلك أيضاً تنويه الله تعالى به مثل قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ سورة النساء: الآية (128)، فوصفه بالخيرية دليل على علو منزلته عند الله تعالى، وذلك لما له من عظيم الأثر في إصلاح ذات البين بين الناس، والذي طالما تشوق الشارع الحكيم إليه في المجتمعات الإنسانية ولما له من الدلالة على تكريم أخلاق القائم به والراضي به، ولهذا كان من أبرز أخلاق الرسول ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود: الآية (88)،وقال على لسان موسى، وهو يخاطب أخاه هارون – عليهما السلام–: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ سورة الأعراف: الآية (142)، فالإصلاح من أبرز أخلاقهم سواء في الدين والدنيا،أو الإصلاح بين الناس عند حدوث المقتضى لذلك من نزاع ونحوه مما لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات البشرية.

تمثل خلق الإصلاح بين الناس في النبي – ﷺ- :

أن الإصلاح من أبرز صفات المرسلين؛ وذلك لكمال أخلاقهم وفطنتهم ومعرفتهم بأحوال أمتهم، ونبينا محمد -ﷺ- من أولئك الرسل الذين كانوا بهذه المثابة من التوفيق بين الناس وإصلاح ذات البين في كل أطوار حياته قبل البعثة وبعدها في مكة وفي المدينة المنورة، ودلائل ذلك كثيرة في كل الأطوار الحياتية البشرية، وتتمثل في الأتي:

أولاً- قبل البعثة: فيدل على الصلح الذي قام به بين فئات قريش المختلفة في سائر قضاياهم ومن أبرزها ما يتعلق برفع الحجر الأسود الذي كاد يصل بهم إلى صراع مسلح يفني بلادهم وعددهم، ويثكل أُمهاتهم ويرمل نساءهم، ويتيم أبناءهم لولا أن تداركهم الله تعالى بلطفهِ بالصلح الذي قام به المصلح العظيم نبينا محمد -ﷺ-، بعد أن هيأ الله تعالى السبيل إلى ذلك باتفاق القبائل المختلفة على تحكيم أول داخل عليهم من باب الصفا، فكان النبي - ﷺ- هو الداخل الذي رضي به الجميع، وفرحوا به لما يعلمونه من أمانته وفطنته وعدم محاباته أحداً، وأصلح بينهم صلحاً أرضى جميع الفرقاء على السواء حيث بسط رداءه، ووضع الحجر عليه، وأمر كل زعيم لفرقة أي قبيلة أن تأخذ كل منهم طرفاً منه، فكان كلهم رافعاً له بالحقيقة، فلما قرب من موضعه في الركن أخذه بيده الشريفة إلى موضعه ،وما كانوا سينالون هذا الحل السلمي بهذا الصلح المرضي لولا هذا المصلح العظيم -ﷺ- (8).

ثانياً- أما بعد البعثة فدلائل ذلك وصوره كثيرة أذكر منها ما يلي:

1- لما هاجر النبي -ﷺ- إلى المدينة وجد ساكنيها من الأوس والخزرج كأشد ما يكون عليه التنافر والشقاق لما كانوا عليه من الحمية الجاهلية التي كانت تولد بينهم الحروب الطاحنة على أتفه الأسباب كما دل على ذلك قول من بايعه عند العقبة منهم: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فاستقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإنه يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك(9).

وورد في صحيح مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم من حديث عبدالله بن زيد بن عاصم ولما هاجر النبي -ﷺ- إليهم، ودخلوا جميعاً في الإيمان اصطلحوا، وزال ما بينهم من

البغضاء والتنافر، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً، وما كان لشملهم أن يلتئم لولا وجود النبي -ﷺ- بين أظهرهم، والنور الذي أتى به في أفئدتهم كما دل على ذلك قوله -ﷺ- ممتناً عليهم بهذه النعمة لما بدر من صغار الأنصار ما يوحي بنسيانها: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي) (10).

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا قائلاً: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة الأنفال: الآيتان (62-63)، وقال القرطبي: أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج، وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي - ﷺ- ومعجزاته؛لأن أحدهم كان يُلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حميّة، فألف الله تعالى بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدِّين ،وقيل أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار(11).

2- وبرز جانب الإصلاح من حياته العظيمة في صُلح الحديبية الذي تجلت فيه دلائل نبوته- ﷺ- ، ومكارم أخلاقه، وما كان بوسع أحد أن يقبل هذا الصلح، لقساوة شروطه وحفاء لهجته ، فكان الصحابة كلهم إلا أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- كانوا بين منكر علناً أو ساكت تأدباً، ويقول النبي -ﷺ- (:والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) (12)، وورد برواية أخرى قوله أيضاً: (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها) (13).

خلاصة بنود هذا الصلح:

1- أن يرجع المسلمون ذلك العام، ولا يَصِلوا إلى مكة.

2- يقضون عمرتهم من العام المقبل ويقيمون بمكة ثلاثة أيام فقط.

3- ألا يدخلوا مكة بسلاح إلا سلاح الراكب والسيوف في القرب.

4- من جاء للنبي -ﷺ- من قريش بغير إذن وليّه يرده عليهم، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا ترده إليهم.

5- من أراد أن يدخل في عقد النبي -ﷺ- وعهده دخل فيه وله مثل شرطه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، وله مثل شرطه.

6- أن بينهم عيبة مكفوفة، أي صدر نفي من الغش والخداع مطوي على الوفاء بالصلح.

7- أنه لا إسلال ولا إغلال أي: لا سرقة ولا خيانة.

8- أن توضع الحرب بينهم عشر سنين(14).

ولقد قبل النبي -ﷺ- هذه الشروط القاسية في ظاهر أمرها كما عزم بذلك لما تثمره من تعظيم الكعبة المعظمة، وعدم إراقة الدماء في الحرم، وإن ضاق الصحابة -رضي الله عنهم- بها ذرعاً؛ لأنها في تصورهم وتصور العقول البشرية التي لا يمدها الوحي من السماء شروط جائرة لا يقبلها من هو في عزة ومنعة كما كان عليه حال المسلمين يومئذٍ، فهم أهل حق، وعدوهم أهل باطل، وهم لا يريدون قتالاً، وإنما يريدون الاعتمار، والنبي -ﷺ- قد وعدهم بدخول مكة والطواف بالبيت كما أراه الله تعالى ذلك، ورؤيا الأنبياء حق، غير أنهم لم يدركوا أن الوعد مطلق غير مقيد بتلك السنة حتى بينه النبي - ﷺ- في قبول هذا الصلح حتى كان يقول: (مازلت أتصدق، وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً) (15)، فقال النبي- ﷺ -لعمر: (أفأخيرتك إنا نأتيه هذا العام؟ فإنك آتيه ومطَّوّف به) (16).

وقد فسر لهم النبي- ﷺ- تلك الشروط القاسية بما يُثلج صدورهم،وهو من أتاهم مرتداً عن دينه فقد أبعده الله تعالى ، ومن أتى المسلمين مسلحاً فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، ولقد زادهم غماً وضيقاً قضية إرجاع أبي جندل بن سهيل بن عمرو الذي جاء يرسف في قيوده يريد الالتحاق بصفوف المسلمين فحال بينه وبين ذلك أبوه الذي كان يفاوض النبي - ﷺ- في هذه الشروط الجائرة قائلاً للنبي -ﷺ-: (قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، فصدقه النبي- ﷺ- فجعل سهيل يضرب وجه

أبي جندل ويأخذ بتلابيبه، وهو يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟

قال النبي -ﷺ- تلطفاً لهم:(يا أبا جندل اصبر، واحتسب فإن الله جاعل لكَ ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً و أعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله،وإنا لا نغدر بهم(17).

ومع هذا كله فإن النبي - ﷺ- قبل الصلح بشروطه تلك، رغبة منه في أن ينال خيرية الصلح الذي وعد الله تعالى به حيث قال :﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ سورة النساء : الآية (128)، وقد كان النبي- ﷺ- يقول:(أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره ولن يضيعني(18). فما هي إلا برهة من الزمن حتى نال بركته وخيره، حيث عادت تلك الشروط على المشركين بالخيبة والخسران، وغدوا يسعون جاهدين في إلغائها، بينما عادت على المسلمين بالخير وثبات الإيمان بدينهم وبنبيهم- ﷺ- الذي لم تكن تصرفاته تلك إلا عن وحي وتسديد إلهي،كما دل عليه قوله -ﷺ-: (ولن أخالف أمره) (19).

قال ابن هشام :أن النبي -ﷺ- خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك في عشرة ألاف،وكانت عاقبة هذا الصلح الفتح العظيم الذي وعد الله تعالى به نبيه - ﷺ–وبشر به النبي - ﷺ- أمته في وقت ما كان سيتحقق فيه لولا تمهيد الله تعالى له بذلك الصلح المحمود عاقبته (20) وصدق إذْ يقول:﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوَا فجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ سورة الفتح : الآية (27).

وهكذا تكون ثمار الصلح دائماً وأبداً ﴿وعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الروم : الآية (6)،وقد حدث ذات يوم أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله -ﷺ- بذلك فقال: (اذهبوا بنا نُصْلِح بينهم) (21).

فانظر كيف كان النبي - ﷺ- لايتوانى عن الذهاب للإصلاح بين المسلمين حيثما بدر الشقاق بينهم ليحسم الخلاف، ويعيد الوئام قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخرق على الراقع ، وهذا دليل آخر على حرصه - ﷺ- على الإصلاح بين المؤمنين ليبقى الود والإخاء بينهم متماسكاً.

وقد بلغت محبّة الرسول -ﷺ- للإصلاح أن أباح فيه الكذب الذي هو من أقبح الرذائل الخُلقية إذا كان سيثمر إصلاح ذات البين كما أخبرت بذلك عنه -ﷺ- أم كلثوم بنت عقبة قالت : (سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيُنمي خيراً أو يقول خيراً) (22)، فالمباح للإصلاح حيث رخص و في ثلاث يعني :حال الحرب، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل زوجته ، وحديث المرأة زوجها)(23) ، وما ذلك إلا لعظيم خطر الخلاف بين المسلمين ،وفساد ذات بينهم كما بينه النبي - ﷺ- زاد الرسول- ﷺ- بقوله : (إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة)(24)، أي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الشعر أراد أنها خصلة سوء تذهب الدين كما تذهب الموسى الشعر(25).

وعليه فالصلح يكون محموداً ومثاباً فاعله إذا كان في حدود ما أحل الله تعالى كما في الأمثلة المتقدمة ، أما إذا كان الصُلح يُحرم حلالاً أو يُحلل حراماً فإنه لا يكون آخذًا حكم ما سبق بيانه من الأجر والمثوبة ولا يكون من مكارم الأخلاق التي ندب إليها الإسلام بل إنه غير جائز ولا نافذ لقوله -ﷺ- :(الصلح جائز بين المسلمين إلاّ صلحاً حرم حلالاً أو حلل حراماً ، والمسلمون على شروطهم إلاّ شرطاً حرم حلالاً أو حلل حراماً) (26).

وفي نهاية هذا البحث اتضح لنا أن للصُلح فوائد عظيمة، فهو بلسم نزع داء الضعف والانهيار بين المسلمين ، وبقية الشعوب إلى أن بعث الله تعالى نبينا محمد -ﷺ- فقام بدور الطبيب المعالج لهذا المرض الخطير مرض العصبية والتطاحن والقتال مهما كان السبب صغيراً أو كبيراً، وبفضله -ﷺ- صالح بين المسلمين والقبائل المتطاحنة، فعم السلام بينها، وكان الصلح هو مصباح الإضاءة والنور الذي تستعيد به الأمة عافيتها ،فنسأل الله أن يعافي الجميع من كل داء، وأن ينعم عليها بالأمن

والسلام ، أنه مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .....

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

وتتضح فيها مدى أهمية الصلح واتخاذه منهجاً لحل المنازعات والخصومات بدلاً من حلها في ساحات القضاء، بل يجب المبادرة في ذلك حتى لا نعطي فرصة للخصومة أن تتسع، ويحصل ما لا تحمد عقباه، ومنها:

1- ظهر من خلال البحث حرص الإسلام على إرساء قواعد المحبة والوئام والوفاق بين الناس، والعمل على القضاء على كل ما يشرخ الصف المسلم، ومن ذلك الدعوة إلى الإصلاح.

2- حرص الإسلام على النفوس من خلال شرع القصاص، ومن خلال الدعوة إلى العفو عن القاتل.

3- أن الصلح يحقق الأمن والاستقرار بين أفراد المجتمع.

4- أن إصلاح ذات البين خلق شريف، وعمل فاضل حثّ عليه الإسلام.

5- نشر الوعي والسلم الاجتماعي الذي يتمثل في إنهاء النزاع.

6- الأصل في نظام الإسلام السلم لا الحرب، وأن المسلم لا يجوز له أن يتمنى الحرب أو الدعوة لها، وأن الصلح يخص جميع المسلمين دون النظر إلى مقاماتهم.

7- اهتمام المسلمين بأمر الصلح لأنه من مقومات الأمن والاستقرار، وسن القوانين التي تردع المفسدين، وتحفظ للمجتمع بقاءه وصلاحه.

8- الإصلاح بين الناس له فضيلة عظمى تفوق فضائل النوافل، بل بعض الفرائض، والإصلاح بين الناس نفعه متعد.

9- واقعية الإسلام حيث لم يفترض في إتباعه المثالية، بل افترض الأخطاء والمشاكل، وعمل على

حلها بالصلح.

هوامش البحث :-

1- التعريفات، للجرجاني : ص 134.

2- المفردات ،للأصفهاني : ص 184.

3- التعريفات ،للجرجاني : 134.

4- الجامع الإحكام القرآن ،للقرطبي : 384/5.

5- روح المعاني ،للألوسي : 26/9 ، والتحرير والتنوير، لابن عاشور : 243/25-245.

6- إعلام الموقعين عن رب العالمين،لابن القيم : 121/1.

7- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي 5/ 386، والتفسير القرآني للقرآن ، للخطيب 156/1.

8- سيرة ابن هشام : 28/1، وطبقات ابن سعد : 1/ 146 .

9- سيرة ابن هشام : 2/ 176.

10- سيرة ابن هشام : 25/4.

11- الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي : 8 / 42.

12- صحيح البخاري ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ، ح (2765).

13- مسند الإمام أحمد في حديث المسور بن مخزمة الزهري ، ح (18910)، وسيرة ابن هشام : 25/4.

14- سيرة ابن هشام (علي يكتب شروط الصلح) : 57/4 – 61 .

15- سيرة ابن هشام : 316/2.

16- صحيح البخاري ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب :ح (2581).

17- سيرة ابن هشام : 28/4 ،والسيرة النبوية، لابن كثير : 322/3 .

18- مسند الإمام أحمد من حديث المسور ابن مخزمة ومروان ابن الحكم ، ح (18907) ، والسيرة النبوية، لابن كثير : 320/3 ، وسيرة ابن هشام :316/2.

19- مسند الإمام أحمد من حديث المسور بن مخزمة ، ح (18907).

20- السيرة النبوية، لابن كثير : 3 / 423 ، وسيرة ابن هشام :321/2.

21- صحيح البخاري ، باب قول الإمام : (اذهبوا بنا نصلح) ح (2547).

22- صحيح البخاري ، باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، ح (2546) ، وصحيح مسلم ، باب تحريم الكذب ،وبيان المباح منه ، ح (6799).

23- صحيح مسلم ، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ، ح (6799) ،ومسند الإمام أحمد ،ح(27313)، وسنن النسائي الكبرى ، ح (8642).

24- سنن الترمذي ، باب (56)، ح (2508).

25- جامع الأصول ،لابن الأثير : 668/6 .

26- سنن أبي داود ، باب الصلح ، ح (3594)، وسنن الترمذي في باب ما ذكر رسول الله -ﷺ- في الصلح بين الناس ، (352).